ويفعل الفعل نفسه في الألفاظ كلها، ويفتقر تأويله أحيانًا إلى عمق الربط اللغوي بين المعاني فهو، على ما رأينا في لفظ الهدى، قد أرجع كل الوجوه إلى معنى الميل، لكنه بعد ذلك جعل «الميل» سببًا في حدوث المعاني الأخرى (الوجوه)، ولم يبين لنا الرابط اللغوي بين معنيي لفظ التوحيد ولفظ الميل الذي قد يكون مثلاً: الميل عن الباطل والشرك أو ما إلى ذلك. فهو إذن لم ينف وجود معان أخر (وجوه)، بوجود أصل واحد، كما يفهم من تصديره النظري، بل جعل المعنى اللغوي للفظ، سببًا في تحقق المعاني الأخرى.

وفي العصر الذي عاش فيه الحكيم الترمذي ـ القرن الثالث ـ كان اللغويون قد بدءوا ينتبهون إلى ظاهرة التعدد الدلالي ويرصدونها في مؤلفات خاصة بني بعضها على ألفاظ القرآن الكريم فقط ككتاب المبرد (ت ٢٨٦هـ) «ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن الكريم»، واتسع الجمع في بعضها فشمل كثيرًا من ألفاظ اللغة وأشبه المعجم مثل كتاب «المنجّد في اللغة» لكراع النمل (ت ٣١٠ هـ) ومن قبلهما كتابان أحدهما للأصمعي (ت ٢٢٤هـ) والآخر بعنوان «الأجناس من كلام العرب، وما اشتبه في اللفظ واختلف في المعنى» لأبي عبيد القاسم بن سلاّم (ت٢٢٤هـ).

وسنعود إلى هذه المؤلفات عند الحديث عن مساهمة اللغويين في دراسة الظاهرة. أما الآن فنتابع تطور الموضوع عند المفسرين، الذين لم تنقطع تآليفهم في الموضوع استجابة لدعوة الحكيم الترمذي، بل تابعوا تأليفهم على المنهج القديم، فنجد إشارات في معاجم المؤلفين إلى كتب كثيرة لم تصلنا [1] إلى أن يظهر في القرن الخامس كتاب «وجوه القرآن» لإسماعيل الحيري النيسابوري الضرير، وهو كتاب كبير مهم ما زال مخطوطًا [2].

يليه في القرن نفسه كتاب الدامغاني (ت٤٧٨هـ) [3] الذي أشار إليه السيوطي في الإتقان [4]، وهو كتاب «الوجوه والنظائر في القرآن الكريم»، ويحتوي على نحو

---

(١) انظر كتاب التصاريف، ص٣٢.

(٢) المرجع نفسه.

(٣) هو: العلاّمة البارع محمد بن علي الدامغاني، مات سنة ٤٧٨ هـ انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٩٥٣٤) ج ١٨ ص ٤٨٥.

(٤) السيوطي، الإتقان ج١، ص١٤١.